الفصل الخامس

الحجاب وستر العورة

هناك ضوابط أساسيّة فى التربية الأُنثوية ، منها الأدبىُّ المجرّد ، والمادىّ ...، وكلاهُما ينْبع من أصْلٍ واحدٍ هو المعتقد ذو المنهج السلوكىّ ؛ فمن هذه الضوابط : الالتزام بستْر العوْرة ، والقَصْد مِنْهُ (أمْنُ الفتنة) وحماية المجتمع من شرورها وآثامها وصيانتُه من مزالقها أو التردّى فى دَرْكها .

وعَوْرةُ المرأة جميع بَدَنها ما عدا وجْهها وكفّيْها وذلك فى الاصطلاح الفقهىّ الشَّرعىّ ، فقد أُثِرَ عن رسول الله ﷺ أنّه قال لـ « أسماء بنت أبى بكر » ـ رضى الله عنها ـ حين رآها فى ثياب رقيقة : « **إذا بلغت الفتاةُ المحيض فلا يصحُّ أن يَبْدُوَ منها إلّا هذا وهذا ـ وأشار إلى وجْهِهِ وكفّيْه** » .

وهذه الصُّورة هى التى تَقِف فيها الأُنثى لأداء فريضة الصلاة بين يدى الله تعالى .

ويقول الله تعالى فى هذا الصَّدَد : ﴿ **وَلْيَضْرِبْن بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيوبِهِنّ** ﴾[1] ؛ والخمار هُو الغِطاءُ الّذى تجْعلَهُ المرأةُ فوق رأسها وشَعْرها ، وهُوَ غير الحجاب الذى يمنع الرؤيَة والبَصرَ ، أو يُخَفِّفه ، ومن ثَمَّ يُخْفى الوجْه (أىْ يحجبه) .

وحتى لا يبقى النَحْر مكشوفاً عارياً ، وكذلك العُنُقُ وما يلتف حَوْله من زينة الحُلىّ ، أمر الله تعالى بضَرْبِ الخِمارِ على (الجيْب) ، والجيْبُ هو فتحةُ الثوْب ما بيْن النَّحر والصَّدْر ، أو أعلى العُنُق .

وليس من مَوْضوع بحْثنا الدُّخول فى جَدَلٍ فقْهِىٍّ ؛ أوْ تحليل ... يُحدِّدُ حُدودَ السَّتْر والحجْب ، طالما أنَّ أمن الفتنة الذى نعتبرُهُ إحدى وسائل حماية المجْتمع من شُرور التردّى والانحراف والرِّدَّة الجاهليّة ، وهُوَ الغرض المطلوب والهدف المتوخّى .

والتربية الأُنثويَّة فى أمْن الفتنةِ هدفٌ يحمى الفتى والفتاة على حدٍّ سواء ،

(١) النور : ٣١ .

obeikandl.com

ولا يتوقّف على نوْع دون آخر ، ولا سبيل إلى إنكار ذلك ؛ وإلا دخلْنا فى مماحكةٍ جدليَّةٍ يتحكّم فيها باعثُ الهوى والغرض ، وليس المنطق وواقع التجربة .

هناك نوعانِ من الجمال : المصطنع المتحدّى السافر ، والطبيعى المحتشم الملتزم .

أما المصطنع المتحدّى السافر فهو الظاهر المنتشر ، والأكثر عدداً ونفيراً ...، والذى نسمِّيه (الفتنة المتحركة) ، فى الشارع ... والأندية .. والأماكن العامَّة .. والصالونات ... فَضْلاً عن المسابح والشواطىء . هيكليّتُه العامة : لباسٌ يكشف أكثر مما يَسْتُر ، وزينةٌ ومساحيق ... وعطُورٌ تَشُدّ حاسة الشم من على مسافاتٍ بعيدة ، وعُرْى يشُدّ حاسّة الْبَصَر فتكاد العُيُونُ تَخْرُج من محاجرها مُشْرئبَّةً ...، واسترخاءٌ ولُيُونةٌ فى نَبْرةِ الكلمة واللّفظ ، حتى لتكادُ الحروف ترقُصُ تَثَنِّياً !!! وشعورٌ كأسْنِمة البُخْت[1] قد لَعبَتْ بها أيدى المزيِّنين !!! و ... إلخ .

أما الطبيعىُّ المحتشم الملْتَزم فهو الأقلُّ الأقلّ ...، والذى دَرَجَتْ عَلَيْه منذ أمدٍ قريبٍ بعضُ فتياتنا ، والذى نُسمِّيه (الزى الشرعىّ) ، لا يُلْتفتُ إلى صاحبتِهِ إلّا قليلاً ، حيثُما تواجدت ، سواء فى ميدان العلم أو العمل أو قضاء حاجةٍ اجتماعية وضرورةٍ حياتيّة .

وهيكليَّتُهُ العامة : لباسٌ ساتِر سابغ محتشم (وإن بُولِغَ فيه أحياناً) ؛ ووجْهٌ خالٍ من أيّةِ زينة ، وعبارةٌ فى الحديث العام والخاص مُنْتقاة ، ونَبْرةُ كلمةٍ غَيْر مثيرة .

والنَّفْسُ الإنسانيَّة (البشرية) وقد رُكِّبتْ بيْن نَزْعتى الفجُور والتَّقْوى . ﴿ **ونَفْسٍ وما سوّاها . فألْهمها فُجُورها وتقْواها . قد أفْلح من زكاها . وقد خابَ من دسَّاها** ﴾[2] تتأثَّر وتجيش أمام هذيْن النوعيْن من الجمال ، البادييْن للعيان .

---

(١) البُخت : بضم الباء وسكون الخاء ـ الإبل الخراسانية والأسنمة : جمع سنام . وشبّه الشعر بها فى العلو .

(٢) الشمس : ٧ ـ ١٠ .

obeikandl.com

أمّا أوّلُهما : وهو المصطنع المتحدّى السافر ، فإنه يُحرّك (طبيعيّاً) جانِب الفجور فى النفس ، ويثير كوامن الشَّهْوة ، فتتّقد كالنّار المتأججة فى الصَّدْر ، وتَمْتد بالتالى سرياناً كاللهيب إلى كُلّ جارحةٍ فى الكيان .

وأما ثانيهما : وهو الطبيعىّ المحتشم الملتزم ، فإنه يلامس برفق وحنانٍ جانب التقوى فى النّفس ويدعو إلى الإعجاب والاحترام والتقدير ، وهَذْهدةِ غلواء النّزْعة الحيوانية الفاجرة .

وإن ردود الفعل هذه على الذات الإنسانية والنفس البشرية واقعية ملموسة ، مُدركة منطقاً وعقْلاً ومشاهدةً ، ولا مجال للمكابرةِ فى مُغالطتها ... إطلاقاً .

ففى أى الجماليْن نأمن الفتنة ونَصُون الفْرد والمجْتَمَع ؟ .

أوَ ليس من ضرورة التربية الأنثوية أن نعتمد الأسلوب السليم والصراط المستقيم ، فنحفظ دنيانا وآخرتنا ، ونكسب (الفضل) فى الأولى والآخرة ؟!! استقراراً وازدهاراً على الأرض ، وثواباً فى جنات عدْنٍ ؟!!.

وقبل أن أُنهى كلمتى فى هذا الصَّدد ، أوَدُّ أنْ أكْشف لطيفةً من لطائف الآية الكريمة ﴿ **ونَفْسٍ وما سوّاها** .. ﴾[1] الآية إذْ يتصوَّر أكْثَرُ الناس أن قَوْله تعالى : ﴿ **قد أفْلح مَنْ زكاها . وقدْ خابَ مَنْ دسّاها** ﴾[2] ذو متعلَّقٍ فَرْدىٍّ..، وهذا قصورٌ فى إدراك المعنى العميق ، وسطحيّة فى آختطاف الظاهر والتعويل عليه ..

نعم .. يُفْلح من يُزكّيها فى (ذاتِهِ) كما يخيبُ من يُدَسّيها ؛ وأيْضاً ... يُفْلحُ مَنْ (يحفظُ) على الذّات عدم إثارتها وإهاجتها من الخارج ، كما يخيبُ مَنْ يُدَسّيها .

فالمسئولية فى أمْن الفتنة وضبط النَّفْس الإنسانية فى إطار التزكية والفلاح تتمحْور بيْن الخارج والداخل ، بيْن المؤثّر والمتأثّر ـ والله أعلم .

---

(١) سورة الشمس : ٧ .

(٢) سورة الشمس : ٩ ـ ١٠ .

obeikandl.com

الْعِلْـــم

لا نريد أن نرتد زمناً إلى الوراء ، فقد انقضت الحقْبة التى تحجَّرت فيها بعض العقول والنُفوس وتصلّبت فى قُمقُم من الجهْل والظلمة ، وخالفتْ بالتقْليد والعُرْف فريضةً من فرائض الدِّين المتعلّقة بآطّراد النموّ الاجتماعى والتقدّم الحضارىّ ، فأخذتْ بحجْب (نُور العلْم والمعرفة) عن الفتيات (أمهات المستقبل) ومقوّمات الأسْرة ..

فها هى ذى المسيرةُ تأخُذُ طريقها من جديد ، وتستأنِفُ الوثْبة ... ولكنْ أيّةُ وثْبة !!؟.

يقول ﷺ : « **طَلَبُ العِلْم فريضة على كُلّ مُسْلِم ومسْلمة** »[1] .

وأيْضاً : أىُّ عِلْم !!!؟.

كُلّ عِلْم يتّفق **وطبيعتها الأُنثويّة** ولا يتناقض مع **وظيفتها الأساسيّة** ، وأوّل العلوم ضرورةً : العلم الدينىّ الشرْعىّ ، وليْس فى هذا أدْنى شك ، ومن ثَمّ عِلْم الأمومة وأصول التربية فى مخْتلف متطلباتها النفسيّة والسلوكيّة ، ولها بعد ذلك ميدانُ العِلْم فسيحاً تَنْهل من ينابيعه ما تشاءُ وتَقْدر ، مما يؤهِّلها لخوْض معركة الحياة .

والوثبةُ المطلوبة لتدارُك الخلل القائم فى بنيان الأُسْرة والمجتمع ، يجبُ أنْ تكون مدروسةً درْساً وافياً ، تتعهَّدُ مَنْهجها ووسائلها وغاياتها أيدى الخبرة والنوايا الطيبة ، حتى لا يكون من نتائجها الوقوع فى مُسْتَنْقعٍ فى الوحولِ والأوْساخ ، أو فى رمالٍ متحركة ، أو يترتَّب عليها كسْر يصْعُبُ جَبْرُه .

وإنى أرى أنّ الأوان فى ضبْط هذه الوثبة لم يفُتْ بَعْد ، وأنّه لا يزال فى الإمكان معالجة النقْص وسدّ الثغرات ، والتوفُّر على تنظيم المنهج العلمى العام للفتاة فى مختلف التخصُّصات والاهتمامات والرَّغبات ، وتضمِينِهِ مُنْذ المراحل الأولى

---

(١)ابن ماجة ـ مقدمة ١٧ . المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى مجلد ٤ صفحة ١٠ .

obeikandl.com

الأسُس التربويّة التى تُوازن بيْن (كيانها) و (وظيفتها الطبيعية) ، وبيْن (فريضة العلْم) .

ولعل فيما قدّمناهُ فى فصلْ : (لماذا التربية ؟) على لسان العلّامة : (ألكْسيس كاريل) والدكتورة : (ماريون هيلازْد) ، من نظرياتٍ استنتاجيّةٍ صائبة ، وخبراتٍ علميّةٍ واسعة أصدق الرؤية (العلمية) على نتائج خلو المناهج العلميّة من قواعد التربية الأنثويّة ، وما تركه ويتركه ذلك على الأسرة وعلى المجتمع من سوءٍ وخلل ...، وهما (أى العلّامة والدكتورة) مَن هُما فى عقيدتهما الدينية وتقاليدهما الغربيّة !!!.

العمــــل

بيْن العمل ، كمبدأ وحقٍّ أساسى ، وبين الضرورة الملجئة إليه ، شوْطٌ طويل من المعاناة والمشادّات والمناظرات ...

معاناةٌ نفسيّة واجتماعيَّة وماديَّة بيْن الزوجيْن فى أكثر الزيجات !!.

ومشادّات وخصومات تُقَلّل مِنْ فُرصٍ استمرار العشرة والتوافق الحياتى ، وتؤثّر سلْباً على الأبناء ..

ومناظراتٍ ما تزالُ تحتلّ مساحاتٍ شاسعةً من أجهزة الإعلام وحيِّزاً مِن الوقْت وأعْمار الناس على غَيْر طائل ، وتُوحى بالشّك الدائم فى سلامة البنيان الاجتماعى .

فالعمل كمبْدأ وحقٍّ أساسىّ من حقوق المرأة لا يُمارى فيه آثنان ولا ينْتَطحُ فيه عَنْزان ، فهو من المسلّماتِ البديهية التى نصّ عليْها القرآن الكريم : ﴿ **للرِّجال نصيب مما اكْتَسبُوا وللنّساء نَصيبٌ مما اكْتَسبْن** ﴾[1] . وجَرَتْ بها السُنّة النبويَّةُ الشريفة ، وصَدَّقها الواقعُ التاريخى من خلال الممارسة ، ولقد ألمحْنا إلى بعض الأسماء والأعمال التى زاولتْها المرأةُ فى العهْد النبوىّ وفى عهْد الخلفاء الراشدين عندما تحدَّثنا عن ذلك فى فصل (نماذج إسلامية) .

---

(۱) النساء : ۳۲ .

obeikandl.com

لكن العمل يأتى من حيث سلّم الأولْويات فى الدَّرجة الثانية بعد الوظيفة الطبيعية للمرأة ، (وظيفة الزوجيّة والأمومة) ، حتى لا يكون هناك أدْنى تَعارُضٍ ، ولتَسْتمرّ مسيرةُ الحياة فى ريحٍ رخْوٍ وانسجام وهناءة ؛ ولا بأْس أنْ نُشير إلى تقسيم النبىّ ﷺ العمل الأُسرىَّ بيْن « علِىٍّ » و « فاطمة » ـ رضى الله عنهما ـ فـ « على » للعمل الخارجى ، و « فاطمة » لشئون البيْت ..

ويَجب أن نتوقَّف عند ظاهرتيْن معاصرتيْن كِلْتاهُما تجتثُّ جذور غَرْسَةِ التربية المعوَّل عليْها فى الإزهار والإثمار ، وإغناء المجتمع ..

أولاهما : الانصراف الكلّى أو الجُزْئى عن لَبن الأُمّ فى الغذاء ، ولا مشاحة فى أنّ هذه الطريقة (فى الغذاء الأوّلى) تفْصِمُ نفسيّاً وصِحّيّاً وبدنيّاً بيْن الأُمّ ووليدها ، وتقطّع أواصر الصّلة (المبدئيَّة) بيْن ذاتين كانتا إلى أمدٍ قريبٍ ذاتاً واحدة ...، والمفترض أن تستمرّ هذه الصلةُ !!!.

ونترك فى هذا المجال الحديث المستفيض إلى أصحاب الاختصاصات ، الذين ما يفتئون يبيّنون وبمختلف الوسائل مساوىء هذه الطريقة فى التغذية ، من الناحيتين الصحيّة والنَّفسيّة[1] .

وثانيهما : التعويلُ ـ أيْضاً ـ فى الحضانة والتربية إلى (أُمٍّ مُستأْجرة) ليْس فى عَملها من وظيفة الأم الأصلية إلا شكليات خالية من مضامين الحب والحنان والعطف ، وغيرها من (مغُذّيات) النَّفْس ومقوِّمات الروح .

وكأن (الوليد) من خلال هاتيْن الظاهرتيْن أشْبه بِطِفْلِ الأنابيت الّذى كَثُر الحديث عَنْهُ فى السنوات الأخيرة ...!؟.

هنا ـ عزيز القارىء ـ نتذكّر عُهُود الجاهليَّة الأُولى فى اعتبار المرأة مُسْتَفْرغاً لقضاء الشَهْوة ، أو قضاء لُبانتها هى من الرَّجُل ...، أوِ آعتبارها مَفْرخاً للذرِّيَّة ؛ لا أكثر ولا أقلّ . ونتساءَل : أىُّ أسْرَةٍ تنتظرنا بعد جيلٍ أو جيليْن ، وأىُّ مُجْتَمَع ؟

وإلّا فَلْنُدرك قيمة التربيةِ على حقيقتها ...، والأمومة ؛ ولنَجْعل مبدأ العمل فى حَجْمه وعند حدوده .

---

(١) تحدثنا عن ذلك فى كتابنا (أولادنا فى ضوء التربية الإسلامية) مكتبة القرآن .

obeikandl.com

الاختـــــلاط

من أخْطر الأدْوار التى تفشّتْ فى مُجْتمعنا الإسلامى المعاصر ، انفتاحُ باب الاختلاط على مِصْراعيه ، وبشكْل هجومِىٍّ عَشْواى ، ثم آستغراقه مساحةً « ديموغرافيَّة » ، واسعةً فى بيوتاتنا ، واستحكامه فى النفُوس والرءوس .

وتزدادُ خطورتُه فداحةً أنَّه تجلبب عند الأكثرين بجلباب « الحريّة » و « التحضُّر » و « العلْم » !!!، وكُلّها شعارات تسْتفزُّ الوجدان فى الإنسان ، وتَسْتثيرُهُ ليُواكب الرَّكْب الزاحف حتى لا يُنعتَ بالنَّقيض ، من « العبُوديَّة » و « التأخُّر » و « الجهْل » .

ولقد جَرَّ هذا البلاء الطارىء على واقعنا الأُسرىّ والاجتماعى مصائب لا تُحْصى عدداً ، وويْلاتٍ جعلتْهُ بعد وحدةٍ وتماسُك بَدَداً ، وهزّت بعُنْفٍ وشِدَّةٍ القيم السامية والمفاهيم الجليلة الّتى تُسيِّجُ حَرَم الْعِرْض والشَّرف ، وتصوُنُ اجتماع الجنسيْن على صراط المودَّة والرحمة ، لا اللذّة العارمة والشَهْوة ..

ثم إننى حاولتُ من خلال عبارتى : (انفتاح باب الاختلاط على مصراعيه وبشكل هجومىّ عشْوائى ...) أنْ أسْتدرك مقدَّماً ...، إذ إن خروج المرأة من بيتها وحَسْب القواعد والضوابط الحائلة دُون خطره وأذاه ، ليْس مما يُنْكرهُ الإسلام أوْ يشجبه ، أوْ يسدّ منافذه ، أو يُقمقِم من ثَمَّ (الأنثى) فى حجْر محجور ، ويكتم أنفاسها ...، لأن ذلك تعطيل عن الحياة ، والحياة حق طبيعىّ ... أيضاً فالشّرع الحنيف فيما قَعَدَهُ من قواعد وحدَّهُ من حدود بالنسبة لهذا الخروج لم يقْصد طرفاً دون الآخر ، ولم يتوجّه إلى الأنثى ثم يُغفل الذّكر ، بل آعْتبر كلا النَّوعيْن هدفاً من أهدافه فى حماية المجتمع .

كانَ خروج المرأة من بيتها فى العهْد النبوىِّ قائماً مَوْجُوداً ، ولكن فى حُدوده الشَّرعْية والعقْلية ، بالإضافة إلى عنصر مهم جدًّا هو التربية التى تلبَّست الفرد المسلم قلباً وقالباً ، فعاشها فى ذاته وكيانِهِ ، فى وجدانِهِ وسُلُوكِهِ .. ذكراً وأُنْثى ..

والمسجد ـ أيُّها القارىء العزيز ـ ذروة مكانِ الاجتماع ولكن دون اختلاط ...، فلقد كان للمسلمات المؤْمنات العابدات (جناحُهُنَّ) الخاص ،

obeikandl.com

وصفوفهُنّ الخاصة فى العهد النبوى وبعده ، وما يزال إلى يَوْمنا هذا فى الحرمَيْن الشريفيْن .

إن المسلمين والمسلمات يجتمعون لأداء فريضة الصلاة ، ولكنه اجتماع منظم لا يدعُو إلى ريبةٍ ولا يُيَسِّر سبيل فتنةٍ ، ولعل الحج هو الشعيرة الإسلامية التى يتراءى فيها الاختلاط ولكن الإسلام حرص على صيانة المرأة والحفاظ عليها . فى جو بلغ فيه المسلمون الأولون حداً من التوقى ، وإشراق النفس ، ووضاءة الحس فى الاحتياط من شبهات الاختلاط .

يُرْوى أنَّ « عاتكة بنت زيْد »[1] ـ رضى الله عنها ـ ، وكانت من الصحابيات ذات دينٍ وخُلُقٍ وجمالٍ وفصاحة ؛ تزوَّجَتْ من « عبد الله بن أبى بكر » ـ رضى الله عَنْهما ـ وهو أمير المؤمنين ، ثم ماتَ عنها شهيداً ، فتزوَّجها « الزُّبَيْر بن العوام » ، وكان غيوراً شديد الغيْرة فلما مَلكها قال : [يا عاتِكةُ **لا تَخْرُجى إلى المسْجد !!!**] ؛ وكانت امرأة عَجْزاء بادنة ؛ فقالت : [يا ابْن العوّام **أتُريد أنْ أدَع لِغَيْرتِكَ مُصلّى صلَّيْتُ مع رسول الله ﷺ و « أبى بكر » و « عُمرَ » فيه !!؟ قال : لا أمْنَعُكِ** ...

فلمّا سَمِعَ النِّداء لصلاة الصُبح توضَأَ وخَرَجَ ، فقام لها فى سقيفة بنى ساعدة ، فلمّا مرَّتْ به ضرَبَ بِيَدِهِ على عجيزتها ...، فقالتْ : مالَكَ ..!؟ **قطع الله يَدَك** ثُمّ رجعت .

فلما رجع من المسْجد قال : يا عاتكةُ ما لى لم أرَكِ فى مُصلّاك ؟ قالتْ : يرحَمُك الله (أبا عَبْد الله) **فَسَد الناس** بَعْدك ، الصلاةُ اليوْم فى القيْطون[2] أفضل منها فى البيْت ، وفى البيْت أفضل منها فى الحجرة] .

إلى هذا الحدّ من التوقّى ، وإلى هذا الحدّ من إشراقة النفس ووضاءَة الحس فى الاحتياط من شُبهات الاختلاط بلغت عاتكة ...، حتى فى السَّعْى إلى المصلّى ، وأىُّ مُصلّى ...، إنّه المصلى الذى كانت ـ رضى الله عنها ـ قد احتجَّتْ بضرورة السَّعْى إليه متخطيّةً رغبة الزُّبَيْر وغَيْرته ، لأنّها تَغْترف فيه من بركةِ الرسُول

---

(١) بنت « عمرو بن نُفَيْل » وأخت « سعيد بن زيد » زوج « فاطمة بنت الخطاب » ـ رضى الله عنهم .
(٢) القيطون : المخدع : والبيت : مكان البيتوتة والمبيت .

obeikandl.com

الأكرم ﷺ وبركة صاحبيْه الشيخيْن ـ رضى الله عنهما ـ .

والصُّورة التى أوْردْنا ، وإن كانت فرديّة تتمثَّل فى حادثة « عاتكة » إلا أنَّها تُعْطى من حيْث الواقع التاريخى عُمُوميّة شاملةً ، سيْطرتْ على كُلّ قطاعات المجتمع ، نابعةً من ضمير الأحْكام وأهدافها ، ومن إشعاعات التربية الذاتية التى تغلْغلتْ إلى أعماق الناس وسَرَتْ فى عروقهم سَرْى الدَّم فطبعتْ بطابعها النظيف السامى بيوتهم ومحافلهم .

ولا نُحب أن نتوسَّع فى عرْض جوانب التشوُّهات التى تُفسد علينا دُنيانا بسبب الاختلاط ، وتظهر فى جسم المجتمع دمامل وفقاقيع ، تحمل القيْح والألم والخِلْقة المنكرة ..، ولَعَذابُ الآخرة أشَدّ وأكْبر !!!.

والرَّجْعة المطلوبة حثيثاً إلى الضوَّابط ، تَفْترضُ بمنطقيّةٍ واعية وجدِّيَّةٍ حازمة أن نأخذ بِمبْدأ الحدود الشرعيَّة المعْهُودة فى الاختلاط ، مهما قيل ...!! ولْنتَّخذ من مقولة « عُمر » ـ رضى الله عنه ـ عُنْواناً وشعاراً و ... دثاراً ، حيثُ قال :

[إنّنا لا نَشْترى رِضىٰ النّاس بِسَخَطِ الله تعالى] .

فإنّ مما يرْضى الله سُبْحانه أن يستقيم خُلُقُهم على الصراط المستقيم ، فلا تزيغ بهم الأهْواء أوْ تُضلّهُم الْفِتَن ويتّبعوا غير سبيل المؤمنين .

اللّبـــاس

كُنّا قد عَرَضْنا لموضوع اللّباس و (الزّىّ الشّرعى) عند الحديث عن عَوْرة المرأة ، وفصَّلْناهُ بَعْض التفصيل .

وهنا نعرض لبعض الأمُور ما يقْتضيه المقام وضرورة البحْث ؛ لأن الضوابط التى تحدَّثْنا عنها فى بداية الفصْل وآعتبرناها أُسَساً فى التربية الأنثوية ، منها ما يتعلَّق بالذاتِ من الداخل ، ومنها ما يتعلَّق بالخارج ..

والواقع أنَّ الزِّىَّ يُعطى لصاحبتِهِ ـ أوْ صاحبه ـ حالةً نَفْسيَّةً مُعَيَّنة ، سواء من ناحيةِ شكْلِهِ أوْ مادَّةِ صُنْعِهِ ونَسْجِهِ ، ولونِهِ أيْضاً ..، ويُؤثِّر بالتالى على الرائى والمشاهد .

obeikandl.com

تقول بَعض الدراسات النَّفْسية الحديثة بأنَّ حُلِىَّ الذَّهَب ، خاتماً أوْ سِلْسلة عنق أوْ يَدٍ ...، إذا ما اتّخذها رجُلٌ للتَّجمُّل أو الزينة !!! تُعْطى ذبذبات مُعيَّنة تؤثِّر فى إضعافِ (الهرمونات) الذكوريّة ، ويشتّد أوْ يضعف تأثيرها بحسَب الحجْم والوَزْن ..

وكذلك الناعم الملمس من الألبسة ..

يا سُبْحان الله !!.

ألا يَحْضُرُنا هُنا تَحْريم النبىِّ ﷺ التزيُّن بالذّهب للرجال ولبْس الحرير ؟! منذ مئات السنين ، وقبل أنْ تَدْخل النّفس الإنسانية أدوار التحليل والتجربة والاختبار !!.

فالذهب أو الحرير إذا لم يُصادفا فى (الأُنْثى) هرمونات (ذُكورية) ، تفاعلا فى ذَبْذَبتهما مع (أُنوثتها) وزاداها رقّةً على رقّة .

ولكن أيْن ؟ ولماذا ؟

هنا نحبُّ أنْ نتوقف مع موضوع الزىِّ وقْفة عقْل ومنْطق ، ولا نترك التساؤل يمضى فى غير غايةٍ ولا هدف .

إن الغرض الأساسىّ من اللِّباس هُو السَّتْر والدِّفْء على الترتيب وليس العكْس ؛ ولْنَعُدْ إلى « آدم » و « حوّاء » ...

لقد كان مقامُهما فى الجنَّة ...، حيْثُ خاطب الله سُبْحانه وتعالى « آدم » بقوله : ﴿ **إنَّ لَكَ ألّا تجُوعَ فيها ولا تَعْرى** ﴾[1] مما يُوحى بآنعدام الإحساس البدنى فى تلك الحالة المرْحليَّة ..

ثم عَصَيا أمْر الله تعالى وأكلا من الشَّجَرة التى نهاهُما عن الاقتراب منها ؛ فماذا حَدَث ؟

يقول سبحانه : ﴿ **فلمّا ذاقا الشجرة بَدَتْ لهُما سَوْآتهما** ﴾ [الأعراف : ٢٢] ويقول : ﴿ **فَأكلا مِنْها فَبَدت لهُما سوآتُهما** ﴾ [طه : ١٢١] ؛ وإزاء هذا العُرْى الذى أصابهما فى جَسَديْهما بعد مخالفتهما أمْر الله تعالى وأحسّا بنوازِع

---

(١) طـه : ١١٨

obeikandl.com

البدن ﴿ **طفقا يخصفان عليهما من وَرَق الجنّة** ﴾ ، لماذا ؟ ليُواريا سَوْآتهما ... وليْس بوَرقةِ التُّوت ، كما تَزْعم التوراة ولكْن بـ (وَرَق) الجنّة ، بصيغة الجمع للدَّلالةِ على استغراق العَوْرة أكْثر مما يَظنُّ ويَتوهَّم .

ولْنَنْظر بإمعان وتَدَبُّر إلى قول الله فى مَوْضع آخر ؛ ..

يقول سبحانه فى سورة (الأعراف) ، الآية (٢٦) : ﴿ **يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يُوارى سَوْآتكم وريشاً** ﴾ .

فاللِّباسُ يوارى السَّوْأة ويتعدّى حَيّز العَوْرة ونطاقها ، كما أنَّه ما يتلبَّسُ البدَن والجسدَ كُلّه ، إلّا ما يُعَطّل حركة العمل والرؤية ، وتأتى كلمة (الريش) بعد هذا لتؤكد المعنى وتؤيِّده ، وتضيف إليْه معنىً آخر ومقْصداً جديداً هو التدفئة ؛ فالريش يكسُو جَسَدَ الطائر كُلّه بلا استثناء ، وهو يحميه من البرْد والزَّمْهرير .

فإذا كنْتْ أيُّها الإنسان لا تدْرى الهدف ، أو تعطّلَتْ لديك الرؤية السليمة بفِعْل تشويش الهوى .. وجاذبيّة الحيوانية ، فإنّ فى (ريش) الطائر لَعبْرة !!!.

والزِّىُّ (شَكْل) اللِّباس ، تَفَنَّنتْ أيدى الصُّنّاع فى تصويره ورسومِهِ وألْوانِهِ ، ثم أضحى هُو الغاية بعد أنْ كان الوسيلة ، وآستعْبَدَ النّاس ..

لقد دَرَجَتْ مُنْذُ أعْوامٍ قليلةٍ (مُوضة) : « المينى جوب » ...

وعجباً لأمْر هذه (الموضة) ؟!!.

هل هى ضَرْبةُ لازبٍ ؟ أم قَيْد ، لا فكاك منه أوْ لا ينْكسر ؟!!.

إن رجُلاً مثل « كريستيان ديور » أو غيره ، أو سيِّدةً واحدةً ...، هم الذى يَضَعون (التصاميم) لِكُلّ شتاءٍ وصيْف ، ويُبدِّلون ويَخْتارون ، ثُم يُطلقُون (تقليعاتهم) ، فتأْخُذُ طريقها إلى الأسواق ، فتتلقَّفُها الأيْدى بشوقٍ ورغبةٍ وتلهُّف ، ويقلّد الناس بعضهم بَعْضاً .

من غير أن يتحرّك فيهم عِرْقٌ من منطق أو مُسْكَةٌ من عقْل ..

والدليـــل ...

أن (موضة) : [المينى جوب] استغرقت مساحةً واسعةً من قطاعات المجتمع ، وتَبعها فتياتنا وبناتنا ونساؤنا ...، وإنك لتدهَشُ دَهَشةً بالِغة حين ترى

obeikandl.com

إحدى اللّواتى يرتدين هذا الزىّ تُغَطى ما آنْحسَرَ من ثوبها عن ركبتيْها بـ (فوطة) أو (منديل) أو أى شىء آخر ، حين تجْلس ...

ونتساءَل : ما الّذى يَقْسِرُك على هذا الصنيع ؟! ترتدين [المينى جوب] تقليداً ، ثُمَّ تغطين !!!. ما هذا التناقض الفاضِح الذى يَحكُم عليْك لا لَكِ ، إنَّه يحكم ببلادة الحسّ والإدراك ، وقُصُور فى الإرادة والوعْى ، وإمَّعيَّةٍ تقْضى بالإعدام المقام على استقلاليَّة الشخصيَّة .

وهذه (الأزياء) .. تتحكَّم فيها نزعة (الفتنة) الجاذبة ، أكْثر من عُنْصر (الأناقة) ، لأنها تعتمد على إبراز معالم الجسد ، ومواضع الإغراء منه ، خصوصاً مع فَصْل الصيْف حين يُحْتَجُّ بالحرارة القائظة على التعرِّى والتخفيف ، وكأنَّه لاسبيل إلى الابْتراد إلا بالفتنة !! ووأد الحياء !!.

ومما نراهُ مُسْتَهْجناً أيْضاً فى موضُوع اللِّباس أنّنا نشاهدُ تناقُضاً بيِّناً فلا نُحسُّه ، ثم لا نُدرك ماهيَّة المغالطة فيه ..

من ذلك رُؤية أُمّ فى الطريق العام وقد احتشمت فى زيِّها إلى حدٍّ ما ، أو اكْتمل فى رسمِهِ الشرعىِّ ، وإلى جانبها ابنتها مكشوفة الذراعيْن والنّحْر ، وعبثت فى شعْرها يدُ المزيِّن ، وبرزتْ مفاتن جسدها من ضيق ما تلبس أو شفافيته ...

إنَّ أيَّة أُمٍّ وقد تجاوزت سِنّ الخمسين ـ مثلاً ـ تَدْخُل فى مَرْحلة اليأس ، وهذه فى الاصطلاح الطبى تعنى انقطاع العادة الشهرية .. (اليأس) من الحمل ، وآستْجراراً تعنى اليأس من الزواج إنْ كانَتْ أيّماً ..

والفتاةُ التى شاهدناها مع الأُم هى مدعاة رَغْبةٍ ... وفِتْنة ...

فَأيُّهما أوْلى بالسَّتْر ؟ وأيُّهما أولى بالزىّ الشرعى ؟! فضلاً عن طلبه فى كليْهما .

فهلا أدركنا لزوميّة ضابط اللباس والزىّ الشرعى فى المسئولية التربوية ، ورعيْنا ذلك حق رعايته ، وعوّلنا بإخلاصٍ وجدّيّةٍ على الأخذ بِهِ حفاظاً على أُسَرِنا ومجتمعنا ، واعتمدناه قاعدة من قواعد النهوض !!.

obeikandl.com

الزِّينـــــة

قرأت فيما يُشبه الإحصاء ، فى أوائل الخمسينات ، عندما كانت (القاهرة) ـ عاصمة البلاد ـ لا تتجاوز المليونَيْن مَن السكان ، أن نِسْبَةَ استهلاك أصابع أحْمر الشفاه فقط ... قُدِّرت بخمسة ملايين جُنيه !!!؟؟.

ولا حاجة بنا إلى التعليق حول ازدياد عدد السكان ، ومرور أكثر من ثلاثة عقودٍ من السنين ، ونسبة المستهلكين .. لنرى إلى أى مدى يُستنْزف المال الذى هُو شريان الحياة على ما لا طائل تحته من أدوات الزينة ، وتنوّعها الذى يزداد ويتكاثر ، وتَتفنّن فى آبتكارها عقول ونفوس وأيدى الخبراء المتخصصين !!!.

وأىُّ خُبراء ؟! إنّهم ـ ولا شَكّ ـ أعوان إبليس وجُنْده المسخَّرون للإغراء والاحتلال .

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ ولا تَبَرَّجْن تَبَرُّج الجاهلّية الأولى ﴾[1] .

فى خطابٍ للمؤمنات المحصنات ، القانتات العابدات ..، السّالكات دَرْب الحياة على بيّنةٍ من نور الإيمان والهُدى ، حتى لا تلتبس عَلَيْهنّ السُّبل فَهُنّ القدوة ، والله تعالى يريدهن (معْدن) خَيْر ، و (حِصْن أمانٍ) ، و (مَوْئل) تقويم وإصلاح ، يريدهُنّ (زوْجاتٍ) يعرفْن حقوقهنّ وواجباتِهنّ ، و (أمهاتٍ) يرغْين بكُلّ أمانةٍ وإخلاصٍ نَبْتَةَ الحياة التى آئتمِن عليْها ، و(مربِّياتٍ) لا يَغْفلن عن دورهِنّ فى بناء كيان الأُمة بناءً أصْلُهُ فى أعماق القُلوب وفرعُهُ فى السّماء ، طيِّب الثّمر ، شهيِّ الطعْم ، زكيّ الرائحة ، باسط الظِّل ، ممتدّ النُّور .

يريدهُنَّ سُبحانه عقْلاً نيِّراً وعاطفة صافيةً صادقة ، غَيْر متأثِّراتٍ بالزينة والزُّخْرف ، والبهرج الزائف الزائل .

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

obeikandl.com

ويريدهن على لسان رسولِه المصطفى ، وحبيبه المجتبى ﷺ غَيْر مُتَنمِّصات ولا واشماتٍ ولا واصلات ...، وغير مائلاتٍ مميلاتٍ فى الطُّرقات بعُطورِهِنَّ الفوّاحة وكعُوبِهِنّ التى تدُقّ الأرض ليُعلم ما خفى من زينَتِهِنّ ... وشُعورِهنَّ التى هى كأسْنام البُخْت !!!.

إنّ الجاهليّة الأولى ... وجاهليَّة القرْن العشرين ، وكُلّ قَرْنٍ تطغى فى (الزينة) على (الحقيقة) سواءٌ فى الصورة والحكْم .

﴿ **ولا يُبدين زينتهُنّ إلّا لبُعولَتِهِنّ** ... ﴾[1] .

وكما هو عجيبٌ أمْرُ المسلمين عموماً فى تنكُّب شَرْع الله وأحكامه وهدايتِهِ ، فإنه من الأعجب والأغرب أمر المسلماتِ على الخصُوص ...

فالمرأةُ المأْمورة أن لا تبدى زينتها إلّا لزَوْجها بالإضافة إلى العناصر التى ذُكِرَت فى الآية الكريمة ، كأنّ فى أُذَنَيْها اليوم وَقْراً ...، فهى لا تتزيّن إلّا لغيْر هؤلاء ، فإذا أرادت الخروج من بيْتها لأمْرٍ ما أو لزيارةٍ قامتْ إلى المرآة واصطبغتْ بكُلّ فتنةٍ ...، ومن الملاحظ أنّها إذا كان خروجها لمجتمع يَحْفَلُ بالجنسيْن من الذكور والإناث ازدادت زينةً ، (لتنافس) الأُخريات ، ولتكون (أحظى) عند الرجال ، إرضاءً لكبرياء غرورها الأجْوف !!!.

أيتها المسلمة : فتاةً كُنْتِ ، أو زوجةً أو أُمّاً ...

إن مجتمعك اليوْم فى وضْع عسير ومستقْبل خطير ، لا تتداركُه إلا يدك فى (التربية) والتوجيه وحُسن التخليق والتكوين لعناصر البناء .

---

(١) النور : ٣١ .

obeikandl.com